دور الأسرى المسيحيين الأطباء بمدينة طرابلس 1711-1835م

عبدالله محمد الشيباني ابوفناس

الأكاديمية الليبية فرع مصراتة

abd.fa1881@gmail.com

استلمت الورقة بتاريخ 2025/08/20، وقبلت بتاريخ 2025/09/08، ونشرت بتاريخ 2025/09/08

الكلمات المفتاحية: المسيحيين، الأطباء، طرابلس، الإيالة، الحكم القرمانلي

الملخص

منذ تأسيس الإيالة وحتى نهاية الحكم القرمانلي، استطاعت البحرية الطرابلسية الظفر بأشخاص من المسيحيين أسرى لديها، فكان أغلب هؤلاء قد امتهنوا المهن والحرف المختلفة، بحيث كان بعضٌ منهم أطباء وجراحين، وقع هؤلاء الأطباء أسرى في قبضة سلطة الإيالة، وتمت معاملتهم بالشكل الذي يمكن الاستفادة منهم في الخدمات الصحية والعلاجية.

إن استعمال الأسرى المسيحيين في الأعمال والوظائف كان أمرا شائعاً بهذا الإيالة، ظهرت معالمه في وقت مبكر من الحكم العثماني، ولكن هذا الاستعمال ما كان يحدث إلا من خلال دوافع تاريخية معينة، حيث من خلالها صار أمر تسخيرهم وتوظيفهم في أعمال مختلفة أمراً ضروريا، ولعل ما قام به الأسرى الأطباء من دور في تقديم خدمات علاجية للسلطة الحاكمة وحاشيتها وخدمها وأسراها المسيحيين لهو خير شاهد على ذلك.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد،،،

فإن وجود الأطباء بمدينة طرابلس خلال الحكم القرمانلي يشكل دوراً اساسياً في الحفاظ على الوضع الاجتماعي بالمدينة، التي كانت تعاني من حين لآخر أمراض وأوبئة مختلة، في ظل غياب الاهتمام بالجانب الصحي بالمدينة، وعدم وجود أطباء محليين، دفع السلطة الحاكمة إلى الاعتماد على أطباء مسيحيين وخاصةً من الذين وقعوا في الأسر على يد البحرية الطرابلسية، بحيث تم الاستفادة من هؤلاء الأسرى المسيحيين الأطباء في تقديم خدمات صحية للسلطة الحاكمة وحاشيتها.

تأتي أهمية هذا الموضوع من كونه يوضح أحد الجوانب المتعلقة بتاريخ ليبيا الحديث، حيث يبرز الوضع الصحي بالمدينة وكيف تمت معالجة بعض من جوانبه، وكذلك يشكل الموضوع أهمية في الدراسات الاجتماعية، فهو يوضح فئة اجتماعية مسيحية كانت تقوم بدور خدمي للسلطة الحاكمة.

إن الرغبة والميول في دراسة أوضاع الأسرى المسيحيين بصفة عامة والأسرى الأطباء بصفة خاصة في إيالة طرابلس الغرب كانت من أهم الأسباب في دراسة هذا البحث.

تكمن إشكالية الدراسة حول وجود عدد من الأسرى المسيحيين امتهنوا مهنة الطب بمدينة طرابلس دون غيرها من المدن الاخرى، تم استخدامهم من قبل السلطة الحاكمة في تقديم خدمات علاجية وصحية لها و لحاشيتها.

ومن خلال هذه الإشكالية تتضح التساؤلات التالية:

- كيف وقع المسيحيين الأطباء أسرى لدى الإيالة؟
- ما الذي دفع لاستخدام الأسرى المسيحيين الأطباء؟

e.fakrun@gmail.com

- ما الخدمات التي قام بها الأسرى الأطباء بمدينة طرابلس؟

بناءً على هذه الإشكالية تتحدد الأهداف في النقاط التالية:

- معرفة كيفية وقوع الأطباء المسيحيون أسرى لدى السلطة الحاكمة.
- توضيح الدوافع التي دفعت لاستخدام الأسرى الأطباء بمدينة طرابلس.
- الوقوف على الخدمات التي قدمها الأسرى الأطباء بمدينة طرابلس.

المنهج المتبع في الدراسة المنهج التاريخي التحليلي، القائم على جمع المعلومات من المصادر والمراجع التاريخية وتحليلها والتعليق عليها كلما دعت الحاجة إلى ذلك، كما استخدم الإحصاء في توضيح بعض المعلومات التاريخية التي تحتاج إلى توظيف بشكل دقيق في هذه الدراسة.

الدراسات السابقة عن الموضوع: تكمن في حالتين:

الأولى للباحث مفتاح مجيد الشريف و الموسومة بـ (الأسرى الأوروبيين في سجون إيالة طرابلس الغرب خلال العهد العثماني الأول 1551- 1711م ، وهذه الدراسة عبارة عن بحث مشارك به في مؤتمر العلمي الأول للدراسات التاريخية بجامعة الزاوية، و نشر في مجلة الجامعة- العدد الثاني- المجلد الرابع- ديسمبر 2020م.

تطرق الباحث من خلاله عن جوانب مهمة تمس حياة الأسرى من حيث أعدادهم وظروفهم المعيشية، وبعض الأعمال التي قاموا بها، وطرق إطلاق سراحهم.

أبانت الدراسة من خلال المنهج المتبع والمصادر والمراجع المختلفة عن نتائج جيدة، وتتقاطع هذه الدراسة مع عملنا هذا في المطلب الثالث والذي كان بعنوان: عمل الأسرى، حيث جاء في نقطتين هما : الأعمال المدنية، و الأعمال الحربية، حيث ذكر الباحث بعضَ من أعمال الأسري دون التحدث عنها بشكل مفصل. ومن خلال هذه العمل سنحاول توضيح أحد أهم الأعمال التي قام بها بعض الأسرى والتي كانت غائبة عن هذه الدراسة.

الثانية تتمثل في دراسة أعدها الباحث: المبروك محمود صالح سليمان، و المعنونة بـ (الأسرى الأوروبيون في مجتمع طرابلس الغرب 1551 – 1832م) وهذه الدراسة عبارة عن كتاب مرجعي يقع في (176) صفحة، وقعت خطته في مقدمة وفصل تمهيدي إلى جانب خمسة فصول و قائمة للمصادر و المراجع.

حاول الباحث معالجة شتى الجوانب و القضايا المتعلقة بحياة الأسرى داخل الإيالة، حيث استعان بوثائق غير منشورة الي جانب مصادر مراجع عربية و غير عربية.

تتقاطع هذه الدراسة مع عملنا هذا في الفصل الثالث و الذي كان بعنوان: الأسرى الأوروبيين في المجتمع الطرابلسي ، حيث تطرق فيه الباحث عن دورهم في الجانب العمراني و العسكري و أعمال داخل القلعة إلى جانب الحرف والمهن التي اشتغلوا بها. لقد أغفل الباحث التحدث عن دور مهم قام به بعض الأسرى في مجال الصحي و العلاجي، والذي يمس ويخدم السلطة الحاكمة صاحبة القرار، هذا ما سنعمل على ايجاده من دور الأسرى الأطباء.

المفاهيم المستخدمة في الدراسة: الأسرى المسيحيين: هم الأفراد من أتباع الديانة المسيحية الذين أسروا من قبل البحرية الطرابلسية ومن أماكن عدة و أزمنة مختلفة.

مدينة طرابلس: يقصد بها المدينة المحاطة بالأسوار وهي مقر السلطة الحاكمة بإيالة طرابلس الغرب.

المبحث الأول: وقوع المسيحيين الأطباء أسرى بمدينة طرابلس

أخذت البحرية الطرابلسية منذ تأسيسها في وقت مبكر من حكم الولاة العثمانيين، تهاجم السفن والسواحل البحرية التابعة للدول و الممالك المسيحية، وخاصةً المطلة على البحر الأبيض المتوسط، فأدّى إلى وقوع عدد لا بأس به من الأسرى، كان من ضمنهم أطباء[1]، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المبحث.

1- القبض على الأسرى المسيحيين الأطباء:

إن المتتبع لنشاط البحرية الطرابلسية على السفن والشواطئ البحرية المسيحية يجد أعداد ليست بالقليلة من رعايا هذه الدول قد وقعوا في قبضة البحّارة الطرابلسية، وكانوا من فئات اجتماعية مختلفة فمنهم النخّاتون والنجّارون و الفلاّحون و الحدّادون و البنائين ورجال الدين والأطباء.[2]

غير أن المصادر التاريخية التي بين أيدينا لا ترد بين طياتها إلا النذر اليسير عن أطباء مسيحيين وقعوا أسرى لدى البحرية الطرابلسية وطريقة أسرهم ودورهم بمدينة طرابلس.

ويرجع أول ذكر للأسرى الأطباء المسيحيين بمدينة طرابلس، عندما أشار جيرار البروفنصالي عن قيام محمود جلفاط وكيل الباشا، ورمضان النابولي كبير خزانته، بتوظيف طبيب أسير من أصل كالابريا يُدعى (فرنشسكو أورسيتي Ursetti Francesco)، بدلاً من الطبيب البرتغالي (ماتيو Matteo)، من أجل قتل الداي محمد باشا الساقزلي بالسم .[3]

بينما يخبرنا الأسير (انطوان كوارتييه Quartier Antoie) أثناء وجوده اسيراً في الفترة من (1660- 1668م) عن أحد هؤلاء الأسرى الأطباء، حين أشار إلى قيام جراح من الأسرى بعلاجه من الجراح التي أصابته اثناء العمل، وقال في موضع آخر لقد أصابني المرض اثناء خدمة سيده مصطفى وكنت سأموت لولا مساعدة ورعاية الجراح الأسير .[4]

ومن بين الذين ذكرتهم المصادر التاريخية، الطبيب الفرنسي الجراح جيرار[5]، البروفنصالي[6]، والذي وصف بـ المستعبد[7]، وقع هذا الطبيب أسير في يد البحرية الطرابلسية التي كانت تشارك مع الأسطول العثماني في مهاجمة ميناء كاندي[8]، ظل هذا الطبيب في الأسر حوالي سبع سنوات[9]، حتى سنة 1676 م عندما دخلت إنجلترا مع طرابلس الغرب في مفاوضات بخصوص سفنها التي أُسرة في سنة 1675 م، فنتج عنها إطلاق سراح الأسرى الإنجليز والفرنسيين حيث كان الطبيب جيرار أحدهم.[10]

وكما ذُكر أيضاً في سنة 1785م أنه كان يوجد طبيب من جنوى كان يتقاضى راتباً مقطوعاً من حكومة الباشا وجميع القناصل لقاء تقديم خدمات طبية لهم، لم يوضح هذا المصدر هذا الطبيب هل كان من الأسرى المسيحيين أم أنه أحد الرعايا التابعين للجالية المسيحية المقيمة بطرابلس.[11]

إلى جانب ذلك ذكر حسن الفقيه حسن في الجزء الأول من يومياته المصنفة تحت رقم (1024-1186-1486) طبيب إنجليزي، ولكنه لم يوضح هل هذا الطبيب كان أسيراً أم غير ذلك.[12]

وكذلك ذكر في الجزء الثاني من اليوميات الليبية، طبيب أجنبي لم يتم التوضيح بشأنه هل كان أسيراً أم غير ذلك، حيث يقول: "أنه في سنة 1248 هـ/1832م ركب محبنا محمد التركي هو (وريقو Warigo) الطبيب إلى البحر، وتوجهوا إلى سانية القنصل الإنجليزي".[13]

1- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تحقيق: محمد عبدالكريم الوافي، جامعة بنغازي، 1998م، ط 4، ص 146.

2- ياتسيك ماخو فسكي، تاريخ القرصنة في العالم، ترجمة: أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية، القاهرة، 2008م، ص114؛ المبروك محمود صالح سليمان، الأسرى الأوروبيون في مجتمع طرابلس الغرب 1551 – 1832م ، دار الوليد، طرابلس، 2022 م، ص 93.

3- جيرار البروفنصالي، تاريخ طرابلس الغرب، تعريب: عبدالكريم عبدالسلام الأربد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007م، ص 614.

4- Antoine Quartier, Lesclave Religieux, etes avanures, chez Daniel Hortemels, produeed bx Laurent vogel and the online Distri bated Proofreading team at, paris, 2008, http:// www.pgdp.net

5- شارل فيرو، المصدر السابق، ص77.

6- خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ت، ص 85.

7- شارل فيرو، المصدر السابق، ص77.

8- كاميللو مانفروني، العلاقات البحرية بين ليبيا وإيطاليا، ترجمة: إبراهيم أحمد المهدوي، جامعة قاريونس، بنغازي، 1992م، ص 101.

9- شارل فيرو، المصدر السابق، ص190.

10- كاميللو مانفروني، المرجع السابق، ص102.

11- ريشتارد توللي، عشر سنوات في بلاط طرابلس، ترجمة: عمر الديراوي أبو حجلة، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت، ص 394.

12- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية 958-1248 هـ/1551-1832م، ج1، تحقيق: محمد الأسطى؛ عمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ط2، ص462؛ 507؛ 576.

13- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية 1248-1251هـ/1832-1835م، ج2، تحقيق: عمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م، ص 93.

بينما ذكر في نفس الجزء ما قوله: "أنه يوم الخميس 13 رمضان سنة 1249هـ/1833م، وقع سيدنا علي باشا قرهمانلي وجع في ركبته اليمنى، وجاب الطبيب الفرنساوي وحجمه".[1]

ولكن من أبرز هؤلاء الأسرى المسيحيين الموجودين بطرابلس هو الطبيب (جوناثان كودري Gowdery Jonathan) أحد أطقم البارجة البحرية فيلادلفيا التي وقعت في الأسر على يد البحرية الطرابلسية في 31 سبتمبر 1803م قرب ميناء طرابلس.[2]

إلي جانب كودري في نفس البارجة كان هناك طبيبان آخران هما (نيكولا هارورد Harward Nicola)[3]، والطبيب (ريد جلي Glee Reed)، الذي كان يشغل منصب رئيس أطباء البارجة فيلادلفيا.[4]

بالإضافة إلى هذا ذكر جوناثان كودري في يومياته إلي أحد الأطباء المسيحيين، عندما قال "سمح لي الوزير باستدعاء الطبيب الإسباني لإحضار الدواء اللازم للدكتور ريد جلي الذي كان مريض".[5]

وليس ذلك وحسب بل أن أغلب السفن البحرية التابعة للدول المسيحية التي غنمتها البحرية الطرابلسية كان يوجد على متنها طبيب أو أكثر مُعين لخدمة البحَّارة تم أسرهم، بدليل أنه عندما مرض القنصل الهولندي (فان بروجيل Breugl Van)(1827-1833م) قام بزيارته الطبيب الموجود على ظهر السفينة الفرنسية (لابيل بول Poule Labelle) التي رست بميناء طرابلس أن ذاك.[6]

ما يمكن ملاحظته هو أن الأسرى المسيحيين الأطباء كانوا متواجد بالإيالة طيلة هذه الفترة، إلا أن المصادر التاريخية المتنوعة أهملت ذكرهم وتحديد هويتهم بشكل واضح.

2- معاملة الأسرى الأطباء:

بعد عملية القبض على الأسرى المسيحيين يتم تقييدهم[7]، بالسلاسل[8]، ويجبرون على التعريف بأنفسهم ومستواهم الاجتماعي[9]، ثم يُنقلون إلى الميناء[10]، ومنها إلى الأماكن المخصصة لاحتجاز هم السجون والتي عرفت باسم الحمامات[11]، يعمل موظفي الإيالة على استجوابهم وتسجيلهم بواسطة مترجمين، ثم تقوم بتصنيفهم وكتابة بياناتهم المتمثلة في الاسم والكنية والجنسية والمهنة، وغير ذلك من البيانات الأخرى[12]. ثم يقتادون إلى القلعة ويعرضون على الباشا والذي يأخذ النصيب الأوفر من هؤلاء الأسرى.[13]

أخذت معاملة الأسرى المسيحيين من قبل حراسهم المشرفين عليهم تتنوع وتختلف حسب الظروف المتاحة[14]، فقد أجبروا على العمل في ظروف صعبة و خاصةَ صيانة القلعة وأسوار المدينة وبناء وإنشاء الحصون والأبراج الدفاعية وصناعة السفن وإصلاح المدينة[15]، وكذلك استخدمها في التجديف بالسفن والمراكب البحرية، هذا عدا أعمال النظافة و النقل و الطبخ و غيرها من الأعمال الاخرى.[16]

لكن هذه المعاملة لم تشمل جميع الحالات، حيث كان هناك عدد من الأسرى المسيحيين يتمتعون بمكانة خاصة لدى السلطات الحاكمة، وهؤلاء يتمثلون في أصحاب الحرف والفنانين والأطباء، فقد تلقى هؤلاء معاملة حسنة[17]، حيث كانوا كثيراً ما يسمح لهم بالسكن في أماكن خاصة، ويسمح لهم أيضاً بالتجوال داخل المدينة، إلى جانب معاملات أخرى حسنة،

1- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية،ج2، ص450.
2- جوناثان كودري، يوميات الطبيب جوناثان كودري في قلعة طرابلس الغرب، 1803-1805م، ترجمة وتعليق: عبدالكريم أبو شويرب، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي لليبيا، طرابلس، 1982م، ص 14.
3- المصدر نفسه، ص30-31.
4- المصدر نفسه، ص 38.
5- المصدر نفسه، ص 38.
6- م. أزبيرك، ست سنوات في طرابلس على الساحل المغاربي 1827-1832م، ترجمة: إيمان فتحي، دار الفرجاني، طرابلس، 2013م، ط2، ص 203.
7- كوستانزيو برنيا، طرابلس من 1510-1850م، تعريب: خليفة التليسي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1969م، ص 193.
8- هـ.م. دوماثيسيو، عبر طرابلس الغرب، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م، ص 63.
9- كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص 193.
10- ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص113.
11- علي الميلودي عمورة، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، 1993م، ص286.
12- ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص113.
13- ريتشارد توللي، المصدر السابق، ص139.
14- ياتسيك ماخونسكي، المرجع السابق، ص113.
15- منصور علي الشريف، عائلة المكنّى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003م، ص 27.
16- إتوّري روسّي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تعريب: خليفة محمد التليسي، دار الثقافة، بيروت، 1974م، ص256؛ المبروك محمود صالح سليمان، المرجع السابق، ص 104.
17- ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص113.

وخير دليل على ذلك قول الطبيب الأمريكي الأسير لدى طرابلس جوناثان كودري 1803-1805م أن الباشا استدعاه ومنح له مكاناً خاصاً للسكن داخل القلعة، وسمح له بالتجوال داخل المدينة وإلى جانبه مترجم[1]، و ليس ذلك وحسب بل و التجوال خارج المدينة ايضاً، كما كان أصحاب السلطة الحاكمة يستقبله بلطف وحفاوة كبيرة في أغلب الأوقات[2] للحد الذي الأسير جيرار البروفنصلي يصف أحوال الأسرى الأطباء في الإيالة بأنهم برجوازية.[3]

يمكننا القول أن حسن المعاملة والتقديرات المقدمة الأسرى للأطباء المسيحيين في الإيالة دون غيره من الأسرى، يرجع إلى احتياج السلطة الحاكمة لهم وللاستفادة من خبراتهم في تقديم الخدمات الطبية على أكمل وجه.

المبحث الثاني: دوافع استخدام الأسرى المسيحيين الأطباء

إن استخدام أطباء أسرى في تقديم خدمات طبية للسلطة الحاكمة بالمدينة يرجع ذلك إلى عدّة دوافع وتتمثل في الآتي:

1- ضعف الخدمات الصحية:

بالرغم من أن حكام الأسرة القرهمانلية أولو اهتماماً كبيراً بالجوانب الثقافية والعلمية بالإيالة، لكن هذا الاهتمام انصب على الجانب الديني، والمتمثل في الفقه والشريعة، حيث ظهرت المؤسسات التي تعني بهذه العلوم، غير أن هذه المؤسسات لم تكن ضمن مناهجها أي اهتمام أو ذكر للجانب الطبي أو حتى علوم أخرى عدا الجانب الديني.[4]

والدليل على ذلك أن أهالي المدينة كانوا يتخذون التمائم والرقية المكتوبة عليها بعض آيات القرآن الكريم، للوقاية من الأمراض والأوبئة، حيث اعتقدوا أن من يحمل التميمة يكون معصوماً من التعرض للمرض[5]، وكانوا يؤمنون بالقدر دون أخذ الحيطة والحذر.[6]

وأشارت ريتشارد توللي في سنة 1785م عن هروب طبيب جنوى من المدينة على إثر انتشار وباء الطاعون، وذكر لا يوجد طبيب بالمدينة[7]، بالإضافة إلى ذلك أن علي باشا عندما أصيب بجلطة دماغية يوم 14 يناير 1787م تم معالجته بالرقية إلى جانب ذلك استدعاء طبيب من مالطا لتقديم الخدمات الصحية له.[8]

ومن جانب أخر نجد أن البعثات القنصلية كانت تعتمد على أطباء مسيحيين موجودين بطرابلس في تقديم خدمات علاجية، ومن ذلك نرى أن القنصل الهولندي فان بروجيل عندما وصل إلى طرابلس أصيب أطفاله بالمرض، مما جعله يستدعي القنصل البرتغالي (ديسكون Dixon) الذي كان يمتلك عيادة يمارس فيها الطب.[9]

2- انتشار الأمراض:

خلال فترة الحكم القرهمانلي لطرابلس الغرب، تعرضت مدينة طرابلس لأكثر من مرّة لانتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة، والتي تسببت في هلاك العديد من سكان هذه المدينة، ولعل من أهم هذه الأمراض التي أصابت مدينة طرابلس أنه في سنة 1733م اجتاحها الطاعون وكان شديد الفتك بسكان المدينة والجالية المسيحية، والذي كان ضمن ضحاياه القنصل الفرنسي وابناه والقائم بأعمال القنصلية وكذلك القنصل النمساوي، وكثير من الأوروبيين الأحرار المقيمين بالمدينة وأيضاً الأسرى المسيحيين.[10]

كما أصيبت مدينة طرابلس في شهر أبريل عام 1783م بوباء الطاعون والذي أصاب المدينة والقلعة وخاصةً الحاشية المقرّبة من الباشا، وأخذت أعداد الوفيات تزداد ارتفاعاً بين السكان، حتى أن الطبيب الجنوي الذي سبق ذكره لم يستطيع أن يضع حدًّا لهذا الوباء مما أدّى إلى هروبه من الإيالة[11]. والتي استمر فيها الوباء منتشر حتى أوائل سنة 1786م.[12]

---

[1]- جوناثان كودري، المصدر السابق، ص21.
[2]- المصدر نفسه، ص42-43-45.
[3]- جيرار البروفنصالي، ص209.
[4]- محمد الهادي أبوعجلية، سياسة حكامة الأسرة القرهمانلية وأثرها في ظهور وتطور الحياة العلمية في إيالة طرابلس الغرب 1711-1835م، د.ن، د.م، 2013م، ص12-33.
[5]- ريتشارد توللي، المصدر السابق، ص149.
[6]- إتوري روسي، المصدر السابق، ص362.
[7]- ريتشارد توللي، المصدر السابق، ص158.
[8]- جورجو كابوفين، طرابلس والبندقية في القرن الثامن عشر، نقله إلى العربية: عبدالسلام مصطفى باش إمام، راجعه: عمر محمد الباروني، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م، ص 224.223-
[9]- م. أزيبرك، المصدر السابق، ص43.
[10]- رودلفو ميكاكي، طرابلس تحت حكم أسرة القرهمانلي، ترجمة: طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت، ص 66.
[11]- ريتشارد توللي، المصدر السابق، ص151-158.
[12]- إتوري روسي، المصدر السابق، ص362.

بالإضافة إلى ذلك هناك أمراض أخرى ظهرت في الإيالة وخاصةً في مدينة طرابلس، ولعل ما ذكره أحمد القليبي في رسائله سنة 1818م خير دليل على ذلك، عندما قال: "إن بلادنا في هذه المدة تعاني الأمراض كالجدري والحصبة وأبوشوكة والعفنة التي تعرف بالحمى[1]، كما أشار حسن الفقيه حسن إلى أنواع أخرى من الأمراض التي ضرب مدينة طرابلس منها مرض الصمهود.[2]

هذه الأمراض لم يسلم منها أي حد من سكان الإيالة، وخاصةً سكان مدينة طرابلس، حيث أصابت السلطة الحاكمة والبعثات القنصلية، مما جعل السلطة الحاكمة تسعى بشتّى الوسائل للحصول على أطباء يقدمون خدمات صحية لهم .[3]

إن انتشار الأمراض المختلفة من حين لآخر لهو أكبر دليل على ضعف وقلة الإمكانيات التي تساعد في الحد من انتشار هذه الأمراض، وخاصةَ من أفراد مختصين في التطبيب والعلاج و القادرين على صرف و منح الأدوية والعقاقير اللازمة.

3- الحملات البحرية والبريّة:

منذ نشوء الأسطول الطرابلسي وظهوره في منطقة البحر الأبيض المتوسط أخذت البحرية الطرابلسية تهاجم السفن الحربية التابعة للأمم المسيحية، والتي كانت هي الأخرى تعمل على مهاجمة السفن والسواحل البحرية للإيالة .[4]

استمرت هذه السياسة حتى مع مجيء الأسرة القرهمانلية للسلطة في طرابلس، والتي ما انفكت سفنها عن مهاجمة السفن المسيحية التي كانت دولها تقوم بإرسال حملات عسكرية نحو طرابلس الغرب مما ينتج عنه وقوع معارك حربية[5]. ولعل ما قامت به الولايات المتحدة خير دليل على ذلك، حيث أرسلت أسطولها البحري إلى إيالة طرابلس الغرب سنة 1801م، وما نتج عنه من معارك حربية استمرت حتى سنة 1805م، أدّت إلى إصابة وإزهاق أرواح العديد من الجنود التابعين للإيالة.[6]

إلى جانب ذلك كانت السلطات القرهمانلية ترسل من حين إلى آخر حملات عسكرية ضد العصاة الذين يتمردون ويمتنعون عن دفع الضرائب، فنجد خلال هذه الفترة حملات متفرقة قامت بها السلطة الحاكمة بتسييرها ضد المناطق المختلفة.[7]

هذه الحملات البحرية والبرية تتطلب دائماً وجود أطباء يشرفون على علاج الجرحة والمرضى التابعين للحملة، ونستدل على قول الأسير جيرار بأنه عندما تبحر السفن البحرية كان على ظهرها طبيبان جراحان[8]، وتتضح الرؤية بالنسبة للحملات البرية والتي تتطلب وجود أطباء ضمنها، أنه عندما أرسل يوسف باشا القرهمانلي حملة إلى برقة سنة 1811م كان من ضمنها الطبيب الإيطالي (أغسطيني شرفللي Augustine Charfelli[9])، بالإضافة إلى ذلك كان يوجد الطبيب السرديني (باولو دلا شلا Sella Dalla Paolo) ضمن الحملة الأخرى التي أرسلها يوسف باشا القرهمانلي إلى برقة سنة 1817م، لتأديب ابنه محمد الذي أعلن التمرد على والده.[10]

من ذلك يتبين لنا أن وجود الأطباء في الحملات العسكرية شيء ضروري لاستكمال إعداد الحملة، لكننا نجد أن المصادر التاريخية المتعلقة بهذه الحقبة تصمت عن ذكر تواجد هؤلاء الأطباء وخاصةً من الأسرى ضمن الحملات العسكرية التي تسيرها السلطات الحاكمة.

1- علي مصطفى المصراتي، رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وتونس، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009م، ط2، ص161-162.

2- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، 673/1.

3- عبدالله خليفة الخباط، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وإنجلترا 1795-1832 م، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1985، ص 48.98-

4- امحمد سعيد الطويل، العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ودول غرب أوروبا المتوسطية 1210-1248هـ/1795-1832م، دار مكتبة الشعب للنشر والتوزيع، مصراتة، 2009م، ص29، 30.

5- علي مفتاح إبراهيم منصور، الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005، ص285-286.

6- جوناثان كودري، المصدر السابق، ص53.

7- علي مفتاح إبراهيم منصور، المرجع السابق، ص221-222.

8- جيرار البروفنصالي، المصدر السابق، ص180.

9- خليفة محمد التليسي، المرجع السابق، ص132.

10- باولو دي لاشيلا، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة في عام 1817م، ترجمة: الهادي مصطفى أبو لقمة، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1968م، ص9-10.

المبحث الثالث: دور الأسرى المسيحيين الأطباء بمدينة طرابلس

أصبح من الضروري وجود أطباء يعملون على تقديم خدمات صحية لمجتمع المدينة، الذي أخذت تضربه الأمراض والأوبئة، وكذلك الهجمات البحرية للدول المسيحية، وفي الوقت الذي كانت فيه مدينة طرابلس تعاني نقصاً في الأطباء، كان لزاماً على السلطة الحاكمة أن تعتمد على أطباء مسيحيين وقعوا في الأسر على يد البحرية الطرابلسية، والذين أخذوا يُقدمون خدمات صحية خاصةً للباشا و حاشيته وجنوده.

وبالرغم من أن المصادر التاريخية -كما أشرنا سابقاً- لا تتطرق إلى ذكر أسرى أطباء مسيحيين موجودين بالمدينة خلال فترة الدراسة إلا في حالات قليلة، ومع ذلك استطاعت الدراسة أن تحدد دور هؤلاء الأطباء بالمدينة من خلال الخدمات التي قدمها الطبيب الأمريكي الأسير لدى طرابلس في الفترة 1803-1805م.

1- تقديم خدمات صحية للسلطة الحاكمة:

لقد سجل لنا الأسير الأمريكي جوناثان كودري أهم الخدمات التي قدّمها للسلطة الحاكمة، حيث أخبر بأن يوسف باشا طلب منه بأن يكون طبيباً له ولأسرته، وأيضاً عبيده العاملين في القلعة.[1]

يتبين لنا من هذا القول أن المدينة كانت تعاني نقصاً في عدد الأطباء المقدمين للخدمات الصحية، ودليل على ذلك أن هذا الطبيب الأسير قد ظلّ ما يقرب من سنتين وهو يقدم خدمات صحية للباشا وحاشيته.

وفيما يلي سنورد في الجدول أهم الخدمات الطبية التي قدّمها جوناثان كودري خلال فترة بقائه بمدينة طرابلس.

ملاحظة: بيانات هذا الجدول أخذت من كتاب يوميات الطبيب جوناثان كواري في طرابلس الغرب (1803-1805)

ت	اسم المريض	تاريخ الإصابة بالمرض	نوع المرض	نتيجة العلاج
1-	الباشا واثنين من ضباط حرسه الخاص	5 ديسمبر 1803م	غير معروف	الشفاء التام للجميع
2-	الوزير محمد الدغيس	6 ديسمبر 1803م	عمى بالعين اليسرى	الشفاء التام
3-	سفير من الدولة العثمانية	7 ديسمبر 1803م	حمى متقطعة	الشفاء التام
4-	رئيس أمان البحرية الطرابلسية	12 ديسمبر 1803م	غير معروف	الشفاء التام
5-	الباي/ ابن يوسف باشا	1 يناير 1804م	غير معروف	الشفاء التام
6-	ابنة يوسف باشا	16 فبراير 1804م	غير معروف	الشفاء التام
7-	الباي/ ابن يوسف الباشا	28 يوليو 1804م	غير معروف	الشفاء التام
8-	زوجتا الباشا السابق (عجوزتين)	28 يوليو 1804م	غير معروف	غير معروف
9-	جنود الباشا	5 أغسطس 1804م	أصيب بقذيفة	غير معروف
10-	ابن الباشا	29أغسطس1804م	غير معروف	الشفاء التام

من خلال هذا الجدول نلاحظ كثرة انتشار الأمراض بين الطبقة الحاكمة وحاشيتها بمدينة طرابلس، كما نرى أن الدور الذي لعبه الطبيب الأسير كان كبيراً للغاية بدليل أن أغلب الذين عالجهم قد شفوا من المرض الذي أصابهم.

2- تقديم الخدمات الصحية للأسرى المسيحيين:

لعب الأسرى الأطباء المسيحيين دوراً مهماً في التخفيف عن الأسرى المسيحيين الموجودين بطرابلس، من الأمراض والجروح التي قد أصابتهم اثناء تواجدهم بالإيالة كأسرى، بدليل أنه في فترات تاريخية سابقة قد جُعل لهم مستشفى بالحمامات لتقديم علاج للمصابين منهم بالأمراض .[2]

وهذا يعطي دليلاً قاطعاً على أن هناك أطباء أسرى كانوا موجودين بمدينة طرابلس خلال فترة الدراسة، غير أن المصادر لا تتعرّض إلى دورهم في تقديم الخدمات للأسرى بشكل دقيق.

[1]- جوناثان كودري، المصدر السابق، ص21.

[2]- جيرار البروفنصالي، المصدر السابق، ص 209.

لكن الطبيب الأمريكي الأسير، استطاع أن يضع بين أيدينا هذا الدور الذي قدّمه الأطباء الأسرى، حيث أخبر بأنه كان يقدم خدمات لأسرى السفينة فيلادلفيا[1]، كما قام بدفن جثث الموتى التابعين للسفينة الحربية التي انفجرت يوم 9 أغسطس 1804م، والتي وجدت على شاطئ البحر.[2]

ملاحظة: بيانات هذا الجدول أخذت من كتاب يوميات الطبيب جوناثان كواري في طرابلس الغرب (1803-1805)

ت	اسم المريض	تاريخ الإصابة بالمرض	نوع المرض	نتيجة العلاج
1	عبيد الباشا	7 نوفمبر 1803م	غير معروف	غير معروف
2	مملوك وابنه	24 مارس 1804م	غير معروف	الشفاء التام
3	أسرى وعبيد الباشا	24 نوفمبر 1804م	غير معروف	غير معروف
4	زوجة أحد المماليك	25 يناير 1805م	الكشف عن حالتها لقرب ولادتها	الشفاء التام

يتبين لنا من هذا الجدول أن الأسرى الأطباء كان دورهم في تقديم الخدمات العلاجية قد تعلق أيضا بالأسرى المسيحيين و العبيد الزنوج الموجودين بمدينة طرابلس، وهذا يعطينا مؤشرا واضحا على أن دور الأطباء المسيحيين قد كان أمرًا واقعاً لا يمكن الاستغناء عنه طيلة الحكم القرمانلي لإيالة.

[1]- جوناثان كودري، المصدر السابق، ص47.
[2]- المصدر نفسه، ص 62.58-

الخاتمـة

حاولنا في بحثنا هذا استعراض دور الأسرى المسيحيين الأطباء بمدينة طرابلس خلال الفترة 1711-1835 م، واستطاعت الدراسة أن تصل لعدد من النتائج، ويمكن إجمالها في الآتي:

1- العمليات البحرية الطرابلسية في عرض البحر الأبيض المتوسط، ضد السفن البحرية المسيحية، أوجدت أسرى من مختلف الدول المسيحية، كانوا قد امتهنوا مهنا وحرفا مختلفة خاصةَ في الجانب الصحي والعلاجي، تمت معاملتهم من قبل السلطة الحاكمة على أحسن وجه، ليكونوا أداة نفعية لها في المجال الطبي.
2- استطاعت الدراسة أن تبين أن مدينة طرابلس خلال فترة الدراسة لم يكن بها أي اهتمام في بمجال الرعاية الصحية والطبية، وأنها كانت تشهد في بعض الفترات التاريخية غياباً للأطباء وخاصة المحليين، في ظل انتشار الأمراض داخل مدينة طرابلس من حي لأخر، و التي أصابت الجميع بمن فيهم السلطة الحاكمة وحاشيتها.
3- المصادر التاريخية المحلية لا تتطرق إلى ذكر الأطباء المسيحيين بشكل مفصل ودقيق، بل كانت تتطرق إلى الأطباء دون تحديد صفاتهم وأعمالهم، مما يعكس تعددهم و قيامهم بأدوارهم خلال هذه الفترة.
4- دور الأسرى الأطباء المسيحيين كان مركزاَ على تقديم خدمات صحية و علاجية للطبقة الحاكمة وحاشيته وكذلك للأسرى المسيحيين، دون أي تقديم لمثل هذه الخدمات لعامة الناس من الأهالي بمدينة طرابلس، وهذا يعكس حسن التفاعل بين الجانب الإسلامي و المسيحي.
5- تحصل الأسرى الأطباء على امتيازات خاصة تشمل الرعاية الجيدة و الحرية النسبية، والتي لم تكن تمنح لأي أحد من الأسرى المسيحيين الذين وقعو أسرى بمدينة طرابلس طوال هذه الفترة التاريخية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1- المصادر العربية:

- حسن، الفقيه حسن، اليوميات الليبية 958-1248هـ/1551-1832م، ج1، تحقيق: محمد الأسطى؛ عمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ط2.
- ـــــ، اليوميات الليبية 1248-1251هـ/1832-1835م، ج2، تحقيق: عمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م.
- المصراتي، علي مصطفى، رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وتونس، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009م، ط2.

2- المصادر الأجنبية المعرّبة:

- أزيبرك، م، ست سنوات في طرابلس على الساحل المغاربي 1827-1832م، ترجمة: إيمان فتحي، دار الفرجاني، طرابلس، 2013م، ط2.
- برنيا، كوستانزيو، طرابلس من 1510-1850م، تعريب: خليفة التليسي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1969م.
- البروفنصالي، جيرار، تاريخ طرابلس الغرب، تعريب: عبدالكريم عبدالسلام الأربد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007م.
- توللي، ريشتارد، عشر سنوات في بلاط طرابلس، ترجمة: عمر الديراوي أبو حجلة، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت.
- دي لاشيلا، باولو، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة في عام 1817م، ترجمة: الهادي مصطفى أبولقمة، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1968م.
- روسّي، إتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تعريب: خليفة محمد التليسي، دار الثقافة، بيروت، 1974م.
- فيرو، شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تحقيق: محمد عبدالكريم الوافي، جامعة بنغازي، 1998م، ط4.
- كودري، جوناثان، يوميات الطبيب جوناثان كودري في قلعة طرابلس الغرب، 1803-1805م، ترجمة وتعليق: عبدالكريم أبو شويرب، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي لليبيا، 1982م.

3- المصادر الأجنبية:

- Antoine Quartier, Lesclave Religieux, etes avanures, chez Daniel Hortemels, produeed bx Laurent vogel and the online Distri bated Proofreading team at, paris, 2008, http:// www.pgdp.net

ثانياً: المراجع:

1- المراجع العربية:

- التليسي، خليفة محمد، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، تونس، د.ت.
- الخباط، عبدالله خليفة، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795- 1832م، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1985م.
- سليمان، المبروك محمود صالح، الأسرى الأوروبيون في مجتمع طرابلس الغرب 1551- 1832م، دار الوليد، طرابلس، 2022م.
- الطويل، امحمد سعيد، العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ودول غرب أوروبا المتوسطية 1210-1248هـ/1795-1832م، دار مكتبة الشعب للنشر والتوزيع، مصراتة، 2009م.
- أبوعجلية، محمد الهادي، سياسة حكامة الأسرة القرهمانلية وأثرها في ظهور وتطور الحياة العلمية في إيالة طرابلس الغرب 1711-1835م، د.ن، د.م، 2013م.
- عمورة، علي الميلودي، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، 1993م.
- الشريف، منصور علي، عائلة المكّى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003م.
- منصور، علي مفتاح إبراهيم، الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م.

2- المراجع الأجنبية المعرّبة:

- دوماثيسيو، هـ.م، عبر طرابلس الغرب، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م.
- كابوفين، جورجو، طرابلس والبندقية في القرن الثامن عشر، نقله إلى العربية: عبدالسلام مصطفى باش إمام، راجعه: عمر محمد الباروني، مركز دراسة وجهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م.
- ماخوفسكي، ياتسيك، تاريخ القرصنة في العالم، ترجمة: أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية، القاهرة، 2008م.
- مانفروني، كاميللو، العلاقات البحرية بين ليبيا وإيطاليا، ترجمة: إبراهيم أحمد المهدوي، جامعة قاريونس، بنغازي، 1992م.
- ميكاكي، رودلفو، طرابلس تحت حكم أسرة القرهمانلي، ترجمة: طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت.